

رَفَّةٌ شَبِيحٌ فِي الظَّهِيرَةِ

شعر

مؤمن سمير

دراسة : د/ محمد عزت

تم نشر الكتاب في الهيئة المصرية العامة

للكتاب 2013

" لیسَ النهارُ
سوی اِبْطالِ
لنورِنَا نحنُ ... "

ماریان ناکیتش

تم تدوين النصوصِ في ديسمبر ،
الممتد من 1999 وحتى 2001 ...

I

يَحْيِيكَ الظِّلَالِ وَأُرْتَدِيهَا

مونولوج

أعطني حفرةً
في قلبك
.....
لأطفو ..

ضرورة الرمل

صيف

قد لا ينحتُ الموسيقى ،

المنداة من عند لهاثي ..

لكنه لن يقتص

مكتزاً ،

يومئ

في رعب الأسلاف

بِسْمَةِ اللَّهِ

لم يَحُلْ

دون أن تصنع له فطيرةً من سخونةِ دمايها

أو أن تُزَيِّنَها بحلمتَيها

أنها بلا سَقْفٍ ولا طائرٍ ..

..... ولا أن تهبَ جسدها كلَ مطرٍ ،

.. لبسمةٍ عريضةٍ ..

.. نَظْلٌ

في حانةٍ ...

.....

الفرصة

لا أريدُ شيئاً كثيراً ..

لا عدةَ أشباحٍ

ألق بهم بلعتي النورِ

ولا أن يمنحني المتجهمُ

مراياهُ لنصفِ عمرٍ ..

، الغيمة التي تستخفُّ بالمراكبِ ..

، وخيالي الذي لن أشوقهُ

يجوسُ سماءَ الجيرانِ

ونيرانهم

.....

ما أريدُهُ شيءٌ أبسطَ من ذلكِ ..

ألا تراحموني في الصورةِ ..

، البليغةِ ،

كأنها قسوتكِ ...

وهكذا . يفتنون أثرنا

بالرغم من أنني أحسُّه يبالغُ حقاً
فُدَّامَ حوائطِهِ والمدفأةِ
لم أحرمه متعتهُ الصغيرةَ
: أن أحيكَ الظلالَ
كلما فات الخشبيونَ
وأن أحوطَ جناحَ
النافذةِ ،

للمثقوبينَ
بالمحبةِ

الأحمر

كانت في الشمس نقطة سوداء
أتراهن مع الظل
على من يحرقها
بركلة ،

أو بعمر ..

العظيم

نشيرُ لهُ

علينا

و ننامُ دونَ حقد ..

من أعلى

كانت رائعةً جداً وعاقلةً
عندما أخفت رسمَ السكّينِ تحتَ الوسادةِ .

لاحظ

أنها أعطت للملائكَةِ فرصةَ التسلُّلِ

والفضولِ ..

للأسماكِ أن تبيتَ في صدرها ..

و للظلِّ ثقباً ،

يطلُّعُ منها

الرقصُ ...

.....

بقايا غِبْطَةٍ

تُحِسُّ بِكُلِّ هَذَا الضَّوْعِ
عِنْدَمَا تَلْمَحُ الضَّحْكَ الخُضْرَاءَ
تَحْتَ سَجَادَتِهَا ..
لَكِنَّ الطَّائِرَ المَتَيْبِسَ
يُشِي الآنَ بِالرَّعْشَةِ
و العيونُ غادرتُ نحو
جِدِّكَ ،

على شَمَاعَةِ القَنْصِ

.. من كلِّ عامٍ

اتركها تقتل ما تريد
لكن لا تبتس برِيَّاتُكَ
أو يتناثر الشتاءُ
خارجَ ملابسك ..

ناور شَبْحَكَ ،
.. من قلبه
.. من صوفِ يقينه ..
وامحني ،
قبلَ المرآةِ ...

الوصيةُ

تتمناهُ بشدة
ذاك المنقوشُ عليه
بعد سنينِ العمرِ .
وعندما صارت شبيهتهُ
صاحبت طراوة الكابوسِ
وصارت تحزنُ أقل ..
: العجوزُ التي كَفَنَها بالبردِ
وابتسمت ،
لطائرٍ
ماكرٍ

حكمةُ البورتريه

... ثم لن يمضي سَيْلٌ سَمِينٌ
إلا وقد لبسَ اللونُ خيمتهُ ...،

وَحَفًّا
ذاكرتهُ ...،

كأنه
نفسُ
الظلِّ ..

دَفْعَةٌ وَاحِدَةً ... لا تَدْحِرُ العِمْرَ كثيراً

• هو قَاتِلٌ ، لا جِدَالَ في ذَلِكَ

لكنهُ سِينِدُمْ ، كزورِقِهِ وَأورَاقِهِ

لأنهُ لم يَستَمِعِ إليَّ ،

و مَسَدَهَا قَرَبَ التَّشْفِي ..

و سَابَ للجدِّ ..

دَوَامَتَيْنِ ...

• أَيهَا القَرِصَانُ .. لا تَصْمِتْ .. يا أباي

ولا تَبْنِي الغَابَاتِ

في خَلْفِيَةِ الذَكَرَى ..

أنتِ الآنِ تَنْهَشُ القَبْعَةَ ، بَصَخِبِ ..

القَبْعَةُ التي مِنَ الوَخْرِ ،

والتي تَستَرِنِي ..

• من أجلي
اليومَ فقط .
: رُدَّ عَلَيَّ بِسَمَةِ الْمَيْتِ
قبل أن تفوتَ الرِيحُ ..

.....

الذي هناك

الذي خلفَ الظلَّ المنكسرِ
والذي جاهدتُ سنواتٍ
لأصافحَ عينيه ..
لم يكن في حاجةٍ ماسةٍ
إلى كلِّ هذا الظلامِ ..،
لأشتمَّ
عبادتهُ
لغيري ..

البعيدُ هنا

الأكاذيبُ الأصغر

والأسرارُ الأصغر

الذين نهشونا مسافاتٍ وخرائطَ

في البحيرةِ

نرتعش من ملوحتكم ..

.....

نُطِيرُ عُشَّكُمْ كُلَّ صحراءٍ ..

.....

نحبُّكم ..

لمعةُ شيخِ الجامعِ

الشيطانُ العظيمُ

لماذا تقفُ بعيداً

ولا تجرّبُ ارتعاشَ اليدينِ ..

الجميلَ

الجميلَ ؟

من الجنةِ ، بإزاءِ الأرضِ

السماء خالية ،

كأنما الكبيرُ

سيهبطُ حالاً .

.....

كلُّ عشرِ خطواتٍ ،

نخطفُ نظرةً .

.....

في آخرِ الطريقِ

نسينا نظرةً امتنانٍ ..

علَّ كلباً طيباً ،

يتعزَّزُ

فيها ..

II

أجوسُ في صدقي المُوَجَّلِ ،
بابتهاجِ حَقِيقِي

يُؤدونَ الخدمةَ العسكريَّةَ

تقابلهم في السيارات ، رؤوسهم مخلوقةٌ ، والتراب يسقطُ من نظراتهم .

دقائق وينامونَ على أكتافِ بعضهم

لكنَّ العيونَ تَظَلُّ مثلَ بندولِ الساعةِ .

يرتعدونَ من الشرطَةِ العسكريَّةِ ، ويحكونَ

كيف أوقفَ الضابطُ المسافَةَ

وقال " يبدو عليكم عدمَ الطيبةِ

يا ملاعينُ يا كفرةَ "

ثم كرههم في وجوههم .

مع أنهم ، والشهادة لله ، كانوا يلبسونَ " الباريه "

والخياطة من أثرٍ " تقييفٍ " الملابسِ لا تُلَوِّحُ للمارةِ في

الأعيادِ و " البيادةُ " مُلمَّعةٌ ، يبانُ فيها الطريقُ .

تكتشف وهم نازلون ،

أنَّ الأخضرَ الثرثار ، جعلهم أخوةً وأصحاب .

يصمتون فجأةً ، بعد مَصِّ السحاباتِ القانيةِ ، الصديقةِ ..
الأول يتذكر حبيبته .

هي ليست غريبة ، هي ابنة العَظْمِ واللحم .
سيأخذها العابرُ

وتعود تلبسُ كحلاً نَفَّاداً ،

و كل هذا البريق ..

(الفقرُ صديقٌ ، يختارُ أعباءَهُ بدقةٍ ، لأنه طيبٌ)

الثاني ، يعترفُ لنفسه أنه لم يعد يثور ..

شتمَهُ المُقَدِّمُ كثيراً ، لكنه سَبَّ " المؤهلاتِ " أيضاً ..

(هي حياةٌ أم أكثر)

إذا كان في جيبِ أحدهم نقوداً

يسرعُ ويضعها في عَيْنِ الظروفِ

وصدرها ..

لكنهم ..

لن يعطوا الشحاذينَ

المُؤنِّينَ ،

ولو بعدَ حينٍ

الحنين لا يقع من السقف

مجردُ تَسْمَعِي صوتَ الرعدِ ، وهو يحاصرُ الكابوسَ قد

يثيرُ بلداً من الريبةِ

إذا تمَّ استدعاءُ الذي انتحرَ ، لمجردِ رغبةٍ مُلِحَّةٍ في شمِّ

ورودِ النورِ .

قريبِي ساذجٌ بجد

ويليقُ على طيورهِ وأنهارهِ ، وروحُهُ تشبهُ زحمةَ قبرهِ كلِّ

مساءٍ

سأضحكُ أيضاً على النافذةِ ،

خبَّأتُ تاريخها خلفَ الصداِ و انتظرتُ أن ينبُتَ لظلِّها

شجرةً

في ليالٍ مثلَ هذهِ ، أنا أكشفُ الأمورَ ..

أرمي عليها من لهاثي وعظمي .. فيتقشَّرُ الزمنُ ،

و تعودُ مجلوةً ..

أنا العَرَّافُ الشَّرِيفُ ، لا أخفي شيئاً عن أحدٍ ،
لهذا أُسَجِّلُ : أنَّ محاورةَ الرعدِ أحلى كثيراً
من تمشيظِ عَنَاءِ الساحراتِ والبومِ ..
وأن الصمتَ
ثرثارٌ كبيرٌ ..

ولا
يُشْبِهُكَ

سَأُنِيمُ الْيَمَامَةَ فِي كُمِّي

بعد ليلةٍ أَيْرُوسِيَّةٍ ، أَلْقَيْتُ بِرَأْسِي مِنْ نَافِذَةِ الدَّوْرِ الْآخِرِ .
الْمُتَوَاطِئُونَ فِي الْمَرَاةِ ، أَشَارُوا عَلَيَّ
وَأَبْلَغُوا الْجِدْرَانَ
لِتَكْبُرِ .

ثم أعادوني لبرودتي ، على وعدٍ بأن أتركهم
يرعون آخرين
يحتاجونهم أكثر مني ...

بعد سنةٍ ، أَلْقَيْتُ بِشَهْقَتِي فِي الْحَفْرَةِ
ثم بَكَيْتُ بِحَرْقَةٍ ، وَقَلْتُ لَسْتُ أَنَا
وإنما الأشباحُ الطيبونَ ، قرروا الأمرَ قديماً ...

النافذةُ أصمَّت قلبها
والريحُ فتحت كيسها المختومَ
وصادقت حُلمينِ ،
خلفَ الجبلِ البعيدِ ..

.. لم أطلبَ شيئاً
سوى أن تصفقوا ،

ويختفي بريقكم

.....

يومٌ مجيدٌ آخر

العربةُ الكبيرةُ ،

كلما تمرُّ ، نصطفي قربةً من الدماءِ و نقشُرُ أجسادنا

برويةً ،

لتهدأ وتبوح وقد تنسى .

العابئنا الناريةُ هذا أوانها ، لتصحو من الفونغرافِ

و تملأ سماءنا بالقماشِ الطريِّ ، الملّونِ بالريشِ القديمِ .

وهو يتأرجحُ مثل نعمةِ الآباءِ ، البيتُ يبتسمُ .. ذاكرتُهُ

المثقوبةُ ، لم تعد تنفلتُ ، بعدَ كلِّ هذا الكَمِّ من المتلصقينِ

والمرتعبينِ ..

أصبح ناجحاً بحق ، في أن يأخذَ
حَدْرَهُ ،
فيْنَا

هل تعلمونَ أن بيئنا هذا كان من كبارِ الأفنديَّةِ
لكنَّ عدم إتقانهِ الآلاتِ الحديثةِ ، جعلَ جالبي الموت ، يرونَ
في ترفُّعِهِ ، مجردَ نَسِيمٍ على وجهِ عابرين ... ؟

أربعون يوماً وهو على هذه الحالةِ ..
شاشةُ التليفزيون ، جَمَدتْ نظراتنا عليها وانتظرت ..
" المشايئةُ " الأماميةُ
وضعت مادةً من الحنينِ
على خطواتنا المرتابةِ .. " الكنبَةُ " .. الغرفةُ الغامضةُ ،
بنتُ الأرواحِ اللاهيةِ .. مخابئُ الرطوبةِ ...
كلهن سرقن
رَفَاتِنَا

المتوالية

ووهبها للفلكيين .

قال بيتنا

أنا العصاميُّ الحقُّ

أرتدي حزني بِحَدَقِ

لكنَّ الثَّورَةَ . تعلمونَ .

لا بدَّ منها

كل صورةٍ ..

لذا أَتَحَصَّنُ

منذُ اليومِ ...

اقتربوا مني

يا أحبَّائي .

بنظراتكم
اللامعة

عندما
تهوي

خِائِنَاتُ أُخْرَى

مُعَلَّقٌ بِجَبَلٍ يَسْقُطُ مِنْ شَجَرَةٍ ، الْهَوَاءُ الْخَائِنُ يَلْعَبُ عِبْرِي
وَأَنَا الثَّقِيلُ الْأَصِيلُ ...

الْمَسْرُحُ مِنْ حَوْلِي ثُلُوجٌ .. وَقَمَةٌ جَبَلٍ وَأَثَارُ الدَّبِيبَةِ
وَأَفْكَارُ كِلَابِ الصَّيْدِ وَخَشْبُ التَّدْفِئَةِ الثَّرَثَارِ ...
الْبَطْلُ ، يُصَوِّبُ عَلَى الظِّلِّ وَيَبْتَهِلُ لِقَلْبِكَ ..
يَخِيبُ لِأَنَّ عَمْرِي نَسِيئَتُهُ فِي الْجَيْبِ الدَّاخِلِيِّ ، الْأَبْعَدَ مِنْكَ ..
تَمْنَى أَنْ يَصْبِحَ طَائِرًا ثَلْجِيًّا ، وَيَشُمَّ نَعِيمِي
لَكِنَّ الْعُلُوبِيَّ ، تَطْيِشُ تَسَاوِلَاتَهُ
وَمَدَدُهُ تَأَخَّرَ عَلَى السَّفِينَةِ

الباب مُوصَدٌّ

وَالنَّافِذَةُ غَرِيبَةٌ مِنْ جِهَةِ الْقَلْبِ ...

عِنْدَمَا كُنَّا نَنْظُرُ ،

كَانَتِ الْأَشْبَاحُ

تَخَافُ

لكنها اليومَ

هنا ...

وهنا ..

وفي حريقِ

صورتِكَ ...

.....

الراوي العليم

صدرها مزيفٌ .. مليءٌ بالقطنِ والشاشِ والأحزانِ ..
وهو يقف على الكرسيِّ . المسافةُ بين النافذتين
ترسمُ للباعَةِ الجائلينَ والترابِ ، أن يتعانقوا مع رغبةٍ تطلُّعُ
رويداً رويداً

تتمنى ألا يكون موظفاً . حياةٌ أביها ليست مثيرةً بالمرّة .
ضمّنت طيورها أن يحبها وتحبُّه ، ويقبلها خلصةً لحظةً أن
يفوتَ النورُ كَسَهَمِ في الممرِّ .
يوم الأربعاء يأتي مع قلبه ..

الخميس تتجمع أخواتها البنات بأولادهن ليَقْنِصَنَّ الدعاءَ
ويتركن الشكاوى المريرة ، تسممُ باقي الأيام .
إنه الآن يعريها .. يخمشُ بأظافره الذكرياتِ واللؤلؤة الرابضةَ
في كيسها

البنْتُ قلبُها بليغٌ ..
والولدُ يهَلُّ في عينيه ، طائرٌ مسائيٌّ ..
البنْتُ تحبُّ البَحَّةَ في الأصواتِ ،
والولدُ عنده أجزاء " الصامتون في المعارك " .. كاملة .

كُلُّ هَذَا لَا يَمْنَعُ أَنَّهُمَا أَغْبِيَاءَ كِبَارًا . أَعْطَوْا أَمَانَهُمْ لِلْهَوَاءِ ..
أَمَّا لَاحِظُوا أَنَّهُ يَمْرُحُ دَائِمًا بَيْنَ الْبُيُوتِ وَالْجُدَاوِلِ ..

يَغِشُّ الرِّوَايِحَ وَالْأَنْفَاسَ

ثُمَّ فِي الْبُكُورِ يَزْرَعُهُمْ قَرَبَ الْمَدَافِنِ !؟

ثُمَّ إِنَّ لِي دَوْرًا رَئِيسِيًّا فِي تَحْرِيكِ الْأَحْدَاثِ

بِامْتِدَادِ التَّارِيخِ ، يَغْفَلُونَهُ عَامِدِينَ .

أَنَا الَّذِي زَوَّجْتُ كُلَّ رِجَالِ الْحَيِّ ، وَأَنَا الَّذِي أَعْطَيْتَهُمْ سَمَتَهُمْ

، وَأَلْبَسْتَهُمْ مَلَابِسَ لَا تَقْتَفِي الْخَوْفَ وَالْإِنْتِقَامَ ..

ثُمَّ أَمَتُّهُمْ فِي نَهَايَةِ الشَّوْطِ ... وَارْتَعَشْتُ ..

فَلَأُنْزَلَ لِهَاتِي

وَأَبْتَهْلُ

لِنَلَا يَكُونَا مِثْلَهُمْ ..

هَذَانِ اللَّذَانِ يُلُوحَانِ ...

فِي

الْغَيْمَةِ

الضَّاحِكَةِ

أعطيته وأعطاني

بارعُ حقاً وكان يُشخّصُ بكلِ أعصابِهِ ..
عيناهُ لا تَطْرُقَانِ ، ويداهُ لا تطيرانِ عندَ الصقرِ ..
يضىُّ بينَ كلِّ عبارةٍ وأخرى ، ويُهَلِّلُ للأقزامِ السَحَرَةِ
في حروبِ الشُّبَّانِ المجاورِ .
يقولُ إنَّ بارعاً حقاً ، وكان يُشخّصُ بكلِ أعصابِهِ

.. لفرطِ براءتها ، صَارَحَتْهُ بكلِ ما جرى في الأحلامِ الطويلةِ
وعلى الجدرانِ وفي الأدرجِ ..
إنه يشكُّ
بل يوقنُ
أنها ستُشرقُ بعيداً ..
وتشمتُ فيه الأمهاتُ ، اللاتي كنَّ يحذرنَ الأطيافَ ،
والأقدارُ والحُفَرُ ..

عندما أَكَدْتُ لَهُ
أنها مغلوبةٌ من عندِ وحشِ الجزيرةِ ...،
غافلتني
وعمرتُ ...

.. خاَطَ أربعةَ بنطلوناتٍ .. للذي

طَيَّرَ نَعَشَ الملكِ

ماتَ والدُ زوجةِ المنيرِ .

الجالسونَ في الهواءِ الضخمِ

تحدثوا كثيراً ، عن دفءِ عظامِهِ و أمطارِهِ الكريمةِ

ثم أكملوا تحتَ ابتسامتهِ المعلقةِ في الرائحةِ .

مجردَ خَيَّاطٍ ضحكَ عليه نبضُ قلبِهِ وهو نائمٌ .

اعتادَ أن يشتري كلَّ سبعِ سنواتٍ أو ثمانٍ بذلةً جاهزةً غيرِ

مُفَصَّلَةٍ ويقارنُ في المساءِ وينتصرُ .. كما أنه مسرفٌ في

الجواربِ ، لا يستغني عنهم خاصةً جنبَ ديسمبر ..

عندما فتحَ عليه الأشباحُ بعد أيامٍ غابَ فيها صوتُ ظلِّهِ وهو

يحجُلُ ليسندَ الأركانِ ...

وجدوهُ على سريرهِ الذي وقعَ بهِ معها

وأحبَّ نسيانَ إصلاحِهِ ...

حاولوا معي كثيراً
وكنت أولي منهم .

لن يحتملني أي طيفٍ
سوى النائمين في الدوابِ ..
ثم إني أحبُّ أن أصطادَ
قوسَ قزحٍ من الأطباقِ ،
وأخافُ أن يخافوا ..

لم ينطقوها ..
إنهم طيبون ومقام الحسين ،
لكنني أعلمُ .

أنا هكذا سعيد

أمضغ نكاتَ الجيرانِ
بتؤدّةٍ
وأقرأ همهماتِ العابرينَ
وأشيلها في ألبومي الخاص ..

أُعَدِّي القسوة
وأضحكُ على الحُفْرِ
بالعدسةِ المُكبِّرةِ ...

بعد أسبوعٍ
واعدتُ خطواتي القتيلةِ
كلها ،

لأنساها
تحت إبطكِ

تلقائيةٌ لا تليقُ بالفرعِ

1 - القَطُّ في طريقك

مائدةً لنبيِّ جَوَّالِ

.....

2 - الذَيْلُ الطويلُ ، ينفَعُ بحرًا لا مثيلَ لنقوشِهِ

وسَمِيكٌ ، يجيد ربط التواريخِ والرِعاتِ

.....

3 - اللصُّ ، جارنَا

اعتادَ أن يرمي الدُمِيَّةَ المُدَمَّاةَ عند أقدامي

كي يبدأ بقطِّ يسرقُ عشاءَ نبيِّ ،

ورِياحٍ تحطُّ على اللوحةِ

وأقدامِ خَوَافَةٍ

و صافيةٍ

.....

لا سبيل لعبورك ،
إلا أن تجرح المرأة

.... في
خائفها

III

صباحُ القسوةِ يا رجلَ المطرِ

نقطتان

1

يا حبيبي

يا صائد الدهشة

و راشقها أمامي .

لا تحطم الصندوقَ الرائي ، لا تفرع

ولا تحاصر صوتَ شبحِكَ
الذي يندهُ منذُ البارحةِ .

هي رُوحِي
التي أخفيتها فيه

لَمَّا نِمْتَ
على
ساعةِ
البهجةِ ...

2

لا تصدقوا
غناءَ الراقصةِ
" أَعْضُ
قلوبكم

لأنني أعبُدُ جسدي
وأُصلِّي
للأزلِ " .

إنها فقط تَشْفُ ..
وتختبئ من الصقيعِ ،

في
الروحِ
الأقدمِ

لا يتصادفُ دائماً

1

نُخرج ما بداخلنا من حينٍ

لنفاجاً أنه كثيرٌ فعلاً .

على جانبِ الردهةِ
نُكَّومُهُ دونَ تستيفِ
لنتمشى جوارهُ
ونغيبُ

كلَّ قتلٍ ،
وكذا
بجوارِ شهقتك ...

2

تصعدُ فوق البيانو الكبير
يقولُ عزمُها
أنجحُ في خنقِ النعمةِ .
كلُ الأشياءِ المرعويةِ
تهلُّ بإزاءِها : الطنينُ بداخلِ الرعشةِ
ثم تقلبهم النظراتِ
بيني وبين الذكري
بقدرِ الشماتةِ
المعهودِ ..

الجادةُ ..
تنسى كل موتٍ ،
أن قلبها ينقشُ
حليبهُ
من خلفِ ظهرِ
الراعي

3

ثدياها متهدلانِ
وجلدُها يصطادُ الحروبَ ،
لينسى ..

لذا
لن تطلبَ فيه
إلا أن تخرجَ
برويّةٍ ..
من نظرتِه ...

من
كابوسه
الأخير

.....

يَدَّعِي المَهَادِنَةَ

1

في كلِّ مرّةٍ
لا نَسْرِقُ إِلَّا المَرْوَجَ
والْحَيْطَانَ الخَوَافَةَ
من عَصَا
الرَّاعِي ..

أَوْ من
لُهَاثِهِ للرَّبِّ ، في كلِّ مرّةٍ ...

2

الأصواتُ تسيلُ من أذني
أشمر ذراعيَّ
وَأَلْمُهُمُ فِي صَنَادِقَ
أَسْتَعِيرُهَا

من النائمينَ تحتَ الإِبطِ .
بعد الحَفْرِ
أشدُّ تَبَخُّرُهَا
قليلًا قليلًا ..
بلا
زحامٍ ،

ولا حتى مطر ...

3

أَجْمَعُ الْعِظَامَ
وَأَرْسِمُ حَفَلًا .

شَمْعَةٌ ظِلِّي تَحَوِّطُ الْخَوْفَ
وَتَغْفُو عِنْدَكَ ..

59

.. إنها الأخيرة ..

في

الطائر

الأخرس

ليسَ مربعاً

سِئني أفتحُ عيني ..

وأنا أضمنُ

ألاّ تنسكبَ

اليومَ ...

من
صخرتي
وخلصني ...

الطقوس

1

تخنقين الدهشة باستمتاع ،
يدي يا يدي ...

أمرُ بروحِ نفاذةٍ . بين ساقَيْها
فأحرمُ نفسي من جزيرةٍ وعواصفِ
تملاً مخداتي
لأعوامِ قادمةٍ .

أنحرف عامداً ..
على الأقل ، لأبتعدَ عن الوهجِ
فأجدها تلهتُ
الطعنة المسكينة . في نفسِ النفقِ .
العام الماضي أيضاً كانت هنا
وبنفسِ الطقوسِ .

هما خياران
أن أفوت في العينِ
فأهوي في دفءِ القسوةِ
أو أن أعودَ أدراجي مبكراً
قبل التَّورُطِ .

على الأقل
أنا الآن أَحْرَكُ أقدامى بهمةٍ
لأسبقها ..
الذكرى :

حِملانٍ من الغبارِ
تبرعنا بهما للخريفِ
الفقيرِ ..
أربعُ أحضانٍ
تعفنوا ..
وملئوا الطريقَ
على شكلِ
سحابةٍ

لا أسمعني وأنتِ بردانة

.....

.....

النملُ

فيكِ

وفيَّ

.....

.....

2

التي تخافُ منذُ زمنٍ بعيدٍ
ضلَّلتَهُم عن قصدٍ .

إنها تكرههم جميعاً :

- مرأتها التي تنهشها باستمتاعٍ
- روحها التي تفرُّ من قُدَّامِ الرعشةِ
- الغامضُ الذي يُحوِّمُ فوقَ البحيرةِ

.....
.....

ابتَهَلتِ للقَدْرِ

" افعل طيباً يا أخي الطيب

واجعلني من عواصفِ

العامِ الفائتِ ...

سِلْنِي فِي عُلْبَتِكَ الدافئةِ ... "

البريقُ ..
لما زادَ البريقُ ..
أعطينا ظهورنا
وشلنا في غلبةٍ ..

ضباباً

كأنه

عظُّمنا

.....

3

النَّوْمُ : منحوتٌ عليه

" سوف تشوفُ فيكَ الصَّحاري .. "

النَّوْمُ : قَريبُ ديسمبَرِ ..

الضيق

الضيق

IV

كأنني

. فصل .

الضبابُ الذي صَدَمَنِي فِي الصَّبَاحِ الْأَوَّلِ
هَارِباً فِي عِلْبَةٍ

تَحَاذِي الْأَسْلَافَ وَتَتَشَهَى ..
لَمْ أَمَقْتُهُ

وَلَا حَفَرْتُ

فِي مَسَامِهِ الْمَتَنَاثِرَةِ ..

فَقَطَّ حَاوَلْتُ أَنْ أَتَفَادِيَ مَعَاوِلَ

الْحَقَّارِينَ

الَّذِينَ اخْتَرَقُوا ذَاكِرَةَ الطَّرِيقِ

و تَمَنَيْتُ أَنْ تَكُونِي عَلَيَّ بَعْدَ رَكْلَةٍ ، لَيْسَ أَكْثَرَ

فَأَصَافِحَ الْأَشْبَاحَ

، الطَّيِّبِينَ ،

بِعَيْنِي

الدَّافِئَةِ ...

. فصل .

بانتظامٍ

وعلى مدى السنواتِ كُلِّها ..

يَبْصُرُ يَمِيناً وَيَسَاراً

ويَبْوُلُ على قاعِدةِ التمثالِ

شَبِيهٌ

ظَلَّكَ ...

تماماً حيثُ ماتَ بطلقةٍ

، مُحْكَمَةً ،

ثم يُحْكِمُ شَأْلَهُ

ويَفْتَحُ

قلْبَهُ

. فصل .

ستغامرُ وتغوصُ

: الطينُ على غيرِ العادةِ

ليسَ راقصاً ..

ومن دونِ أيِّ خالقٍ

يتشكلُ ودياناً

و روائحَ

والماءُ يدوسُ على ذاكرتهِ

فيصنعُ الجزيرةَ التي تتمناها ..،

كملاحٍ

يخطُ

حيثَ طارَ الطائرُ ..

.....

وذُبتِ ..

. فصل .

وكان الأمر ينتهي غالباً بابتسامه .

السماءُ خارجَ النَّسيمِ السَّميكَ

لم تعد تلهو ..

والسورُ

يدخلُ بينَ الحينِ والحينِ

ليعطيكَ حِصَّتَكَ

بالكاملِ ...

كشفتَ أموراً كانت مأكراً ..

مثل المقاصدِ الخفيةِ للرفاقِ

و اتجاهِ فخذِ فتاتِكَ في الأماسي ..

الخ الخ

فاترك
صوتي

والأمرُ غالباً ،

سينتهي
بك ...

. فصل .

دافئاً

مثل سحابةٍ

. كان يُطلُّ

. من فوقِي .

وحيناً

بارداً

ككفِّك ..

. فصل .

..... وقد ينطفئُ

النورُ الساخنُ
فأتمادى
في استحلابِكِ
مع الشَّبَحِ ..

وعندما تهلُّ المحبَّةُ ،
كجرذٍ صديقٍ ..

أقبضُ على رقبتِه
وألهو ،

في
فزعِكِ ...

. فصل .

في الحفرة بَرَقُ

يُغَافِلُ الذبائِحَ

والجبلَ

وجُدُ الراعي ..

ويقتنصُ

هَزَّتَكَ

.....

فصل .

لم يحط في أذني رائحته
ولم أحاول أنا ...

وفي صمتٍ ورويةٍ وهدوءٍ
يميلُ فجأةً ،
..... ويسيبنا شبها ..

. فصل .

الشجرةُ

جمعت الشرايينَ

وخاطت الحريقَ في ذيله

كي لا يحزنَ ثانيةً أو يغوصَ ..

و كلما تقابلا

لاحظت كلامَ الساحراتِ

وأخذتهُ في شهقتها ..

ليقولوا

: " تركت ظلّها

ورحلت .. "

.....

وكلما يَنْطُ الشَّتَاءُ
يَغْمِضُ رِدَائَهُ تَحْتَهُ ..

ليقولوا
" كَانَ خَفِيفًا زَمْنًا
فَسَابَ نَظْرَةً

وحفرتَ يَنَ ... "

....

" تحت رَجَّةِ الحنين : عندما تجوسُ الشعريَّةُ

في العالم .. و تحكي مع الظلال "

قراءة في ديوان " رَفَّةُ شَبَحٍ في الظهيرة "

لمؤمن سمير ..

بقلم / د. محمد عزت

هناك مسافة افتراضية بين مجرد الطموح في جانب والإمكانية مع الإخلاص والاجتهاد في الجانب الآخر ، حيث إذا زادت هذه المسافة قلَّ إنتاج المبدع كمياً ، وكذا نوعياً بالأساس ، وهو أمرٌ يقترب من المنطق ، وإن قلتَ فإنك تستطيع أن تضمه لباقتك الخاصة ، المنيرة ، من المبدعين ، الذين تحكم عن طريق تجاربهم على الواقع الأدبي سلباً وإيجاباً - لأنك لابد وأن تستبعد غير الجادين كل فترة - وتصل إلى نتائجك وأحكامك وبالأحرى تستمتع ، بتلمس لبنات مشاريعهم المتميزة والقلقة بالضرورة . من هذا الصنف الثاني الشاعر مؤمن سمير ، الذي أصدر قبل ديواننا هذا تسعة دواوين تلمح فيها بوضوح تام حرصه على الوصول إلى ما يميزه ويخصه بالذات ، بنفس دأبه في الخروج على أي منجزٍ شخصيٍ يبلغه وأي مرتقى يرتقيه .

إنه لا يستقر طويلاً في أي أرض ويعتبر أن الوصول والغاية ، هو الموت في الحقيقة .. وإذا طمحت لأن تضع تجربته في جملة مفيدة ، واحدة جامعة مانعة ، وهو أمر مرهق في حد ذاته فعلاً وغير علمي ولا منهجي لكنه منتشر عندنا للأسف ، كأن تردد في جلساتك الخاصة أنه من شعراء التسعينات

المغرمين بالتفاصيل اليومية ونفي الأيدولوجيا والسرديات الكبرى الخ أو من المغرمين باللغة وألعابها وتشكيلاتها الخ أو أن نصه ينحو نحو التجريب والذهنية الخ أو أن الفكر والفلسفة يشدان النص للتشاقف والجفاف .. إلى آخر أكليشياتنا المعلبة - فإنك قد تكون قد أرحت نفسك جمالياً ونصياً ، لكن بالوهم .. لأنه يقترب نصاً قلماً يصل به - سواء عبر الرؤية أو عن طريق بناء الجمل وصياغة المجازات الكلية والجزئية وتشكيل العالم الشعري الخ .. وكذلك (عبر) كل الصياغات والمقترحات الشعرية السابقة التي يمر بها ولاينتمي لأيها ، في آن - إلى تأكيد منحي يشوف في الشعر طريقةً وحيدة لا بديل عنها للعب مع العالم ، ليعود قابلاً للتعايش ، وللكشف عما يخفيه عنا منذ القدم .. ويستخدم كل مافي طريقه الفكري والمعنوي والكتابي ، فوق ما ذكرناه من أنماطٍ فنية قبالاً - للكشف عن الشعر المخبوء ، بدايةً من اللعب مع المطلق ومساءلته والتمشية معه وفيه - كذا - فلسفياً بل وشعبياً وفتياً بالطبع ، وليس انتهاءً باللاوعي وطبقاته والأحلام والهواجس وتاريخ الذات المستتر/ الحقيقي وتاريخ الآخر أياً كان .. كل شئ عنده

قابل لأن يصير رحماً للاعب المغوي المسمى بالشعر ، بلا
أي مواءمات ولا أي تأطيرات جاهزة ... اللهم إلا الضرورات
الفنية ، المتغيرة مع كل وعي يبلغه نصه ..

ثم إذا ولجنا إلى عالم ديواننا هذا فإننا نرصد بداءة أن
العنوان مُحَمَّلٌ بالإيحاءاتِ المُركَّبة ، كعادة الشاعر ، حيث
تخبرنا هذه العتبة أن الحالة الشعرية القادمة في الديوان
ستكون (تحت حالة) تألم وعذاب هذا الشبح / البطل /
الشبيه ، أو حتى النقيض .. ساعة ينهشه النور بكَلَابَاتِهِ
الساخنة .. تَرِفُّ عيونُ الشبح من وطأة النور القاسي
ويرتعش الكيان ، وفي (أثناء) الرعشة تلك - بالذات وعلى
سبيل التعيين - تنفجر منه قصائد هي إلى الاعتراف أو
الصراخ أو حتى حكمة الألم المفاجئة القابلة للنقض الدائم ،
أقرب ..

إن حالة الحنين التي قد تمر بنا بين الحين والآخر لتحنننا أو
تفرحنا أو لتهدد مشاعرنا بالأحرى .. هذه الحالة عندما
اقتنصت الشاعر زلزلت المماسك من حوله وضغطت على (
الجُوَانِي) ، البعيد المستقر ، فانفجرت الذكريات واقتنصت
وعيه تماماً فأنفصل عن الماحول وأعاد رسم ماكان بعيداً

وغائراً .. الشاعر هنا مستسلم لسطوتها وجبروتها ، إنه تحت هذه الرجة ، مقعّي ، يرضى بدور (المعبّر) لخروج ما كان أسيراً ومخبوءاً - أو مستقراً ؟ - في الأغوار البعيدة .. ينزاح الحنين هنا في شبكة وعينا من موقعه الرومانسي القديم الحالم إلى موقع الافتراس والسطوة القاهرة ووضع البطل الدرامي بإزاء حالة الاستسلام الكامل والتلاشي ، عالقٌ في هذه الحياة الملتبسة مع عذابه الدائم الذي يغير كل ساعةٍ وجهاً : الذكرى ..

إن عالمه الآمن هو الجحر أوغرفته البعيدة ، الوحيدة المتوحدة ، فإذا خرج مضطراً - تحت تأثير هذه الحالة الجبارة من الحنين للحياة ، الحياة بكليّاتها وكل ما تعنيه من تفاصيل حية وساخنة ، وكذلك مجرد التصورات عن الحياة - فإنه يرتعش ويقاوم كل ما يعاين باعتباره مؤامرة ويلوذ بذكرياته التي هرب منها - والتي عذبتة ، قديماً ودائماً ، لكنه قد ألف مداخل ومخارج قسوتها واعتاد حتى على روائح آلامه وطعومها ، لهذا يكون البطل في مأزق التأرجح بين ما يعلمه ويرعبه وبين ما يجهله ويرعبه أيضاً وهنا يكمن الالتباس والخوف الذي يصل للقهر والقتل ، من الآخر ومن

الذات كأنه شبَّحَ ينصهر إذا عاين النور.. تصدمه الشمس فيرف بعينه من الوهج ومن الانكشاف الفاضح للضعف ليبدأ رثائه لذاته ، تلك التي تم اقتناصها ، قديماً وحالياً ودائماً

وعندما نتجاوز هذه العتبةِ الأُوليةِ وندلف إلى عالم وشوارع وبيوت الديوان نجد أنه يحدد تاريخ كتابة النصوص في ديسمبر ولكنه ليس ديسمبر المعتاد ، المؤقت ، إنه ديسمبر الممتد ، الكبير الجارح ، وهو ما يوحي بأن الحالة المسيطرة عليه في هذه السنوات ، جميعها ، كانت أقرب إلى تجليات ديسمبر وامتداداته في الداخل والخارج ، من الوحدة والخوف والشكِّ إلى البرودة القاسية وعرشة الأفكار والمشاعر ومذاق النهايات .

و لكي يُمهِّد ويشير لنا على أن هذه التجربة تنتمي إلى جل تجاربه السابقة والتي يكون كل كتاب فيها وحدة واحدة وإن تنوعت المداخل والمخارج ، بالإضافة لكونها كذلك تمتح من فضاء واحد هو خياله الجامح الباحث عن الشعرية في أنهارٍ أخرى - فإنه يُكمل بثالث العتبات ، بعد العنوان وتنويه سنوات الكتابة ، بالمقتبس الذي صدَّرَ به النصوص ، فيكتمل

الحوار الذي بدأ مع العنوان ، حيث أنه وإذ يُلوَّح من بعيد بشكه وعدم يقينه فيما ينهال عليه من المحسوسات ، يربط بين انفجارية الحنين وانثيالات الذكريات وبين ظنه دائماً بأن الأمر ينطوي على خدعة كبرى من خداعات اللاوعي الفسيح ، الغامض ، الذي لم يعهده أحدٌ واضحاً وطيباً من قبل ، إنه دائماً يخبئ ويخاتل ويرمي بإشارات .. فيكون النهار/ النور/ الكشف ، إذن .. ماهو إلا تورية وتمويه وخداع دائم وطول الوقت .. وقاسٍ وقاتل أيضاً ، كالمعتاد .

ينقسم الديوان إلى أربعة دوال أو علامات كبيرة تنضوي تحتها النصوص أو الإشارات أو الدوال الصغيرة مما يكون في النهاية العالم الذي يمر داخلياً في الذات لكنه بهروبه أو خروجه مع هذه الذات ، يكون قد سحبنا بمكره لنندمج ونشارك في اللعبة التي قد نمارسها ولا نعي .

في العلامة الأولى " يحيكُ الظلالَ وأرتديها " تحتفظ الذات لنفسها بمسافة مع الذكريات التي تدل عليها الفوتوغرافيا بتثبيتها الزمن عند لحظاتٍ بعينها ، لكنها تسمح بانطلاق التجليات .. إن البطل ما يزال خائفاً ومرعوباً - وسيظل - لذا يوهم نفسه ، كي يتنفس بحرية على الأقل ، أنه لم يسقط

نهائياً في حفرة الذكريات ، إنه يمارس الخداع أيضاً ، ولو
بخداع ذاته ، مع أنه ، بلعبته تلك ، يكون قد مارس وبدون
وعي ، أول أسس اللعبة ، المفروضة والقدرية . هذه
المجموعة من القصائد القصيرة ، المصاغة بأقل قدر من
الكلمات - وهو ما يتناسب مع حالة التحسس والارتعاش
المرتبطة بالذكرى واكتشاف ماكان وكأنه الاكتشاف الأول ،
بما يمهد بعد ذلك لقرار الخروج ، ليكون وكأنه الخروج الأول
من الرحم / الجحر / الأمان ، إلى العالم / الزحام / المجهول
.. وكأنه يقدم للذات ما يملك أولاً ثم للعالم ولكن بشك كبير
في تقبل هذا العالم / الآخر وموافقته على التواصل الذي
يسمح بصنع حياة وذكريات جديدة .. تمتحُ القصائد من
احتمالين : أن هذه المشاهد هي حديث الفوتوغرافيا - الحنين
بمعنى أوسع - في طورها أو موقعها الشعري أو أنها
انعكاسات تلك اللحظات الزمنية البليغة على نفسية البطل ..
أي أنها حديثه هو ، وتشكيلاته هو وخيالاته هو ، فيستلم
من الفوتوغرافيا فكرة خلق زمن جديد ليبنى صوراً قد تتناقض
مع الزمن الأول .. بما يعني أن الفوتوغرافيا هنا قد لا تكون
علامة على ما جرى ولكنها تصوّر لما كان من المفترض أن

يجري .. واللعبة الشعرية تكمن في أن هذين الاحتمالين يتضامان معاً ولا يمكن فصلهما ، فحديث الصور هو حديث حيوات البطل ورؤيته ، التي ما هي إلا تفاعله مع الفوتوغرافيا وتحويلها إلى دراما ، أي أن البلاغة هي بلاغة المشهد ورسمه وبلاغة التعبير عنه واختراعه ونقضه طول الوقتِ بالجملِ الملتبسة ، معاً . تسيطر الوحدة والفقد والاعتراب على هذا الدال الكبير ، لتتفاعل معاً وتنصهر في أتون التفاصيل : " لا أريد شيئاً كثيراً / لا عدة أشباح / ألحق بهم بلعتي النور / ولا أن يمنحني الرجل المتجهم مראהً لنصفِ عمرٍ " إنه ، برفضه الظاهري للتواصل ، إنما يضمّر شكواه وألمه من فشله في تحقيق الاندماج ومن سوء التفاهم الدائم . هو يشك في نوايا الآخرين إزاءه : " بالرغم من أنني أحسه يبالغ حقاً / قُدَّامِ حوائطِهِ والمدفأةِ / لم أحرمه متعته الصغيرة : أن أحيكَ الظلالَ / كلما فات الخشبيون " الآخر ، القريب ، مريبٌ بالضرورة ، وعبارة عن ظلٍ أو علامةٍ على آخر خفي ، وكلما كان هذا الآخر بعيداً عن التصور القريب ، تكون الهوة أوسع ، مجرد كائن خشبي لا مشاعر عنده ولا نقاط تماس قابلة لصنع أي حياة مع ذلك القابع خلف ستارة

النافذة ، يراقب ويتلصص على اللحظات الحقيقية : "

كانت رائعة جداً وعاقلة / عندما أخفت رسم السيِّين تحت الوسادة " أو " كانت تتمناه بشدة / ذاك المنقوش عليه / بعدد سنين العمر " أو " هو قاتلٌ لا جدال في ذلك / لكنه سيندُم ، كزورقه وأوراقه / لأنه لم يستمع إليّ " .. لكن هل يمكن لنا أن نعتبر المتلصص أو المراقب الحذر الذي يبني بدائل درامية داخله عوضاً عن التواصل المفقود ، غير مشارك ؟ إلى أي مدى هو غير متورط ؟ لقد خلق من الجمادات والسكون حياةً مَوَّارة ، له دور فيها بالقطع ، دور يتراوح بين الفعل وصنع ردود أفعال ، وبين قبول أن يكون طيفاً يكشف ويفضح ويخرب العلاقات المستقرة ليستمتع هو برسم زوايا جديدة ، وجديرة ، للنظر : " الشيطان العظيم ، / لماذا تقف بعيداً / ولا تجرب ارتعاش اليدين / الجميل الجميل ؟ " .

في الدال الكبير الثاني المسمى " أجوسُ في صدقي الموجل ، بابتهاجٍ حقيقيٍّ " يكمل هذا الدور ولكن بتورط أكبر وبسرد يحمل قدراً واضحاً من الحميمية والبوح والهتك وليس الكشف فقط : " في ليالٍ مثل هذه ، أنا أكشف الأمور / أرمي عليها

من لُهاثي وَعَظمي ، فينتشر الزمن وتعود مجلوةً / أنا العَرَّافُ الشريف ، لا أخفي شيئاً عن أحد " إن هذا المقطع يحمل بيان الشعرية وطريقة لعبها وأبوابها الماكرة في الولوج إلى كل ما هو مخفي ، فبتصدير البراءة نتمكن من التسلل والدخول ثم يبتسم المراقب ، الدائم ، الذي لا يفلت شيئاً .. ذلك الذي يكمل فراغات القصص ويملاً الحكايات باقتراحاته التي لا تنفذ ، إنه الراوي العليم بكل الخلجات ، كما تصرح باسمه الشعرية ، كعنوان لأحد النصوص ، لكنه في لحظات يغادر موقعه فيكون راوياً مشاركاً : " عندما أكدت له أنها مغلوبةٌ من عندِ وحشِ الجزيرةِ / غافلثني / وغمرتُ " فيما أنه يعلم فهو الذي يملك توقيت التورط وماهيته ، ليكمل القنص ، ولكن ليس في سكة الخيال وإنما واقعياً هذه المرة ، أو هكذا تومئ لنا الشعرية : " بعد أسبوعٍ / واعدتُ خطواتي القتيلةِ كلها / لأنساها " إن الزمن عندما يطول بالمتلصص فإنه يميل - حال خروجه - إلى الاستعراض ، إلى تحويل الانفجاريات المكتومة إلى لحظات درامية يحسها الجميع وقد يحملونها معهم وهم عائدون إلى بيوتهم . تظهر تقنيات السرد أكثر ما تظهر في هذا الجزء ، فيمكن أن تمسك بحادثة

أو قصة لها امتداد خَطِّي - بداية أو أحداث ونهاية .. الخ - وتتفاعل مع الانتقالات المفاجئة للأمام وللوراء والتي تتم عبر الزمن بأنواعه .. الخ - وتجد المشهدية والديالوج والبصرية السينمائية والتبئير .. الخ وتتقابل مع راوٍ يغير موقعه كل مرحلة .. الخ وتظل تدور مع الفجوات في النص لتكملها وهكذا .. ومن نافلة القول التركيز على أي أقصد هنا (السرد الشعري) بمعنى أن هذا النص الشعري يمكن أن نطبق عليه آليات علم السرد ولكن من زاوية أنه شعر مكتملٌ بداءةً (ينبنى من الصور والأخيلة والمجازات وإيقاع ظاهر أو خافت أو خفي .. الخ) ولكنه جاء في بنية سردية وأهاب سردي ، وليس بالقطع ، سرداً في مبنى ومعنى شعري ، ولا أزيد .. إن البوح ، الذي يصل إلى درجة الهذيان في بعض الأحيان - هو انفجارية الوعي وصرخته من الكبت الطويل وسنوات الخوف وطبقاته وامتداداتها في الروح .. هو صرخة الطائر المذبوح ، سواء قبل خروج الروح بمسافة تسمح بالاعتراف أو في مرحلة الحلقوم الأخيرة صاحبة القدر الأكبر من السواد ...

وفي ثالث العلامات الكبيرة " صباحُ القسوة يا رجل المطر " يرجع البطل إلى وحدته ولكن وقد حمل على معطفه الكثير من نقاط المطر أو التجربة والتشارك ولو كان ذهنياً ، لهذا تميل أغلب نصوص هذا الجزء للتجريد واستكناه خبرة التأمل والحكمة المتولدة من مراقبة النار في المدفأة : " شمعةٌ ظلِّي تحوطُ الخوفَ / وتغفو عندكِ / إنها الأخيرةُ / في الطائر الأخرس " ولكنَّ هذا يأتي بعد أن رسَمَ في نص " الطقوس " ما جرى له في رحلته المتخيلة والحقيقية في الآن ذاته ، وتراوحه بين العودة الآمنة لحضن الذات وبين تكرار الاشتباك غير مأمون العواقب مع العالم : " هما خيارانِ / أن أفوتَ في العينِ / فأهوي في دفءِ القسوةِ / أو أن أعودَ أدراجي مبكراً / قبل التورطِ " .

ويبدو أن الذات الحائرة الخائفة ، صاحبة الأشباح ، الغريبة لأنها تعلم أكثر ، تحسم أمورها وتعود في كل مرة .. ترجع رغم الآلام ، للوحدة والشياطين المرعبة والصديقة ، ولها هي بالذات : " النوم : قريبُ ديسمبر / الضيق الضيق " .
ويأتي الجزء الأخير في هذا النص - المتصل الحلقات ، المتشظي أيضاً - والتي أسمته الذات الشاعرة " كأنني "

بكل ما يحمله هذا العنوان من قيم البوح والشك في نفس الوقت ، ليكون خاتمة المطاف ، فيروي عن نفسه ويفضح ذاته ، لكن مع ملاحظة أنه قد يحكي بالأساس لذاته وليس لأي كيانٍ آخر ، فيبدأ من صباحه الأول ويمر بأسلافه والرفاق والبنات والمقهى وذلك من خلال ديسمبر، الفضاء والسماء السوداء : (وكلما يَنْطُ الشتاءُ / يغمضُ رداًهُ تحتَهُ ليقولوا " كانَ خفيفاً زمنئذٍ / فسأبَ نظرةً / وحفرتَ يَنٍ .. ") إنه الاطمئنان الذي يسبق العواصف ويمهد لها ولو بخوفه ، و ينتظرها لاستعادة ما كان ، بعد تهيئة الجو النفسي ، الملتبس . إنه يعيد رسم الدائرة ليترك فرجةً لها كي تخرج وتتناسل وتتكرر مرة أخرى ولو في زمن آخر ومع أشباح آخرين وفي حيوات ثانية .. و لهذا تقسم الشعرية القصائد في هذا الجزء تحت مسمى " فصل " بما يوحي بالارتباط والتسلسل وأن النصوص تكمل بعضها ولا تنفصل وتخرج من معين واحد .. إن الجزء الأخير هو فضاء الأجزاء السابقة ، هو الأصل الذي جاءت تنويعاته وتجريدياته فيما سبق من نصوص ، وبطبيعة الدائرة ومطاطيتها تستطيع أن تغير مواقع البدء والختام دائماً . إنه البيت الذي خرجت أشباحه وظلاله

لتشتبك مع العالم أو بالأحرى تقتنص منه ما يساعدها
على اللعب وإعادة الخلق . إن البطل هو الشبح / شبيهه
الإنسان / أصله وحقيقته .. الذي يقبع لتستعمره الذكرى ،
تلك التي يأتي هو بأدواتها : الفوتوغرافيا ، المحسوسات ،
الأماكن والروائح الخ .. صاغراً ، مرتعشاً .. ثم يفتح الوعي
ليمارس رسم ما كان بأكبر قدر من البوح والاجترار وتغيير
الملاحم والصياغات ، إنه الصدق الذي كان مؤجلاً دائماً .
ثم تأتي المغامرة المحفوفة بالمخاطر والهلاوس المرتقبة ..
والتي هي الخروج - سواءً الواقعي أو على مستوى التخيل
- والاندماج والتواصل الفعلي مع العالم .. لنصل في نهاية
هذه الرحلة إلى عودته ليقبع مرة أخرى مع ذاته أو في ذاته
وحولها ، باعتبارها أقنوم الأمان ، الملتبس ولكن الممسوك ،
معوضاً أي تواصل مع الآخر - أي آخر - بإيهامنا - والذات
- بحنين وذكريات قد تكون حدثت أو لا تكون .. لتكتمل
الدائرة طارحة الشك طول الوقت ، وهو الذي يسمح دائماً
بإعادة النظر من أي نقطة على سطح الدائرة ، وهو ما يُثبت
ما أُلحنا إليه في البداية وهو كون كل ديوان في تجربة

الشاعر وحدة واحدة رغم تفرعاتها المختلفة ، وخروجاتها
الدائبة على إطاراتها

وقبل أن ننهي تحاورنا مع الديوان نشير لخصيصة فنيّتين
بازغتين عند المبدع وهما أولاً : الصياغة الخاصة ، المركبة
التي تفتح أبواباً شتى للتأويلات .. فعندما يقول النص جملةً
من مثل " يحيكُ الظلالَ وأرتديها " .. فإننا نكون بإزاء عدة
احتمالات : أن يكون الفاعل الذي بلا مرجعية هنا ، للفعل
الأول (حياكة الظلال) هو المطلق ، وفاعل الفعل الثاني (
ارتدائها) هو بطل النص .. وفي هذه الحالة نكون بإزاء
علاقة طرفيها غير متكافئتين ، المطلق هو الفاعل الأصلي
والشخص هو صاحب رد الفعل .. وكذلك والحالة بهذه
الكيفية - يندمج الدالان " هو " ، و " الشبح " المائل في لا
وعي النص ، والذي يلعب النص مع تماثلاته مع البطل ،
بدءاً من عنوانه الأول - ويصير الشبح مجرد تجلٍ للشخص
، أو العكس سواءً بسواء .. وتصير العلاقة الأساسية بين
طرفين أولهما مطلق ، متعالٍ ، وغامض ، ويمنطق النص :
جبار وقاسٍ .. بينما الكفة الثانية ، التي تتكون من كائن

جديد عبارة عن إنسان وشبح معاً - هي الأضعف ،
المنسحقة ، الخائفة والمرتعشة طول الوقت ...

والاحتمال الثاني أن العلاقة قائمة بين طرفين أحدهما ،
وفاعل الفعل الأول ، هو الشبح .. وفي هذه الحالة يعطو
الشبح ليحمل كل الصفات العلوية المطلقة ، المرعبة ..
ويرزح الطرف الثاني تحت صفات الضآلة والانسحاق ..
بالرغم من أن هذا الشبح يمكن أن يكون نتاج كوابيس البطل
الشخصية وعذاباتة ، يعني شبحه الشخصي أو
شبيهه أو قرينه أو حتى نقيضه وضده .. كما يمكن أن
يكون شبحاً (خام) يخص راحلين أو لا يخص .. الخ
ولا ننسى دال (الظلال) ، المكتنز هو الآخر بالاحتمالات ،
هل يرتبط بالبطل أم بالشبح أم بهما معاً : كمساوٍ لهما أو
نظير أو حتى نقيض ؟ أو أنه بالأساس لاينبت ولايتخلق إلا
في وعي المطلق ؟ .. وهكذا نلعب مع إشعاعات الفن
واحتمالاته المتتالية ولانتعب ..

وثاني الإلماعات ، والتي نقدمها مع سابقتها كإشارات غير
وافية ، لتمايزات الكتابة : دمج العجائبي مع التفاصيل
وسبكهما في سبيكة واحدة ، لتخليق نص لا نتوعات بين

أجزاءه وخلاياه .. فتجمع الكتابة بين ما لا يُظنُّ أنه يصح فيه الجمع وتخلق منطقتها من المصدرين معاً : الأسطورة والتفاصيل ، رغم إمكانية اقتناص الشعر من أيهما ، وهو السائد في هذا الجيل ... ولنتأمل هذه المقاطع :

" في كل مرةٍ / لا نسرقُ إلا المروجَ / والحيطانَ الخَوَافَةَ / من عصا الراعي / في كل مرةٍ .. " .

وكذا " في الحفرةِ برقٌ / يُغافلُ الذبائحَ / والجبلَ / وجدُّ الراعي .. / ويقتنصُ هزَّتكَ " .

أو " الشجرةُ / جمعت الشرايينَ / وخاطت الحريقَ في ذيله / كي لا يحزنَ ثانيةً أو يغوصَ .. / وكلما تقابلا / لاحظت كلامَ الساحراتِ / وأخذتهُ في شهقتها .. " .

في المقطع الأول تصاغ الأسطورة بألفاظ وسرد يقترب من التداولية ويؤكدُها بعبارة (في كل مرة) الدالة على الديمومة والتكرار .. وفي الثاني يُدخلُ المخاطبةَ في المشهد بكل انسيابيةٍ لتنزل الأسطورة من سماءها بهدوءٍ ومكر ..

أما المقطع الثالث فهو الأوضح على السبك المحكم وعلى السرد الذي ينجدل من الأسطورة ويحكي لصديقٍ معاصر ، في الآن نفسه ..

مؤمن سمير ، هنا ، ينجح كعادته - رغم أن النصوص أقدم
في زمن الكتابة من أعماله التي صدرت من قبل -
في صنع قصائد تتخلق من وعي مديني منفتح ، بعيد
عن أي رومانسية غابرة ، ويفلح في صنع مسرح واضح
الأركان وحياة من لحم ودم ، وخيالٍ أيضاً .. تستطيع أن
تناورها بإيجابية لأنها بمكرها الفني الجميل ، تسبب لك
المداخل والمفاتيح ، عبر لغةٍ مُحَمَّلةٍ وحساسةٍ لأقصى
درجة ، تتوسل بالسرد كما تصنع مجازاتها الماكرة المدهشة ،
تراوح بين الواقعي والأسطوري العجائبي بمهارةٍ ودَرِيَّةٍ وتترك
إشارات وجمل وحالات وحيوات
في البداية لا تكتمل إلا في النهاية ، وإحالات تحتاج
متلقياً واعياً ومشاركاً في إنتاج النص ..

وكما ألمحتُ قبلاً ، إن تأكدت أن المبدع صاحب مشروع ،
يعمل له وعليه ، فصاحبه وأنصت له ، أو معه ..
لَمَّا يدلك على دبيب ماتحت السطوح ،
أو يتساءل معك أو يومئ لك أوفيك ...

كي لا تُحرم من اللعب الخالق
والبهجات

المؤلف :

- مواليد : 1975 /11/15
- صدر له :
1- بورتريه أخير، لكونشرتو العتمة .

- شعر ، دار سوبرمان 1998 .
- 2- هواءٌ جافٌ يجرحُ الملامح .
شعر ، الهيئة العامة لقصور الثقافة 2000 .
- 3- غايةُ النشوة .
شعر، طبعة أولى : هيئة قصور الثقافة 2002 .
طبعة ثانية : مكتبة الأسرة 2003 .
- 4- بهجةُ الاحتضارِ .
شعر ، هيئة الكتاب 2003 .
- 5- السريُّون القدماء .
شعر، هيئة الكتاب 2003 .
- 6- ممرٌ عميانِ الحروبِ .
شعر، هيئة قصور الثقافة 2005 .
- 7- تفكيكُ السعادةِ .
شعر ، دار هفن 2009 .
- 8- تأطيرُ الهذيانِ .
شعر ، دار التلاقي للكتاب 2009 .
- 9- بقعُ الخلاصِ .

مونودراما ، هيئة قصور الثقافة ،
بيت ثقافة الفن 2010 .

10- إضاءةٌ خافتةٌ وموسيقى .
مجموعة مسرحية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب
2009.

11- يُطلُّ على الحواسِ .
شعر . كتاب اليوم . دار أخبار اليوم ، 2010 .

12- الهاتف .
مسرحية للأطفال ، الهيئة المصرية العامة للكتاب
2010.

13- أوراُدُ النوستالجيا .
مقالات نقدية ، إقليم القاهرة الكبرى الثقافي 2011 .

14- عَالِقٌ في العَمْرِ ، كَالغَابَةِ كَالأَسْلَافِ .
شعر ، هيئة قصور الثقافة 2013 .

15- رَفَةٌ شَبِحَ في الظهيرة ، شعر ، الهيئة المصرية
العامة للكتاب 2013 .

● قَيِّدُ الصِّدُورِ :

- 1- حَيِّزٌ لِلإِثْمِ ، شعر .
- 2- بلا خبز ولا نبيذ ، شعر .
- 3- رمل ، نصوص .
- 4- علم النمل ، نصوص .
- 5- الصياد والسماك الناطق ، قصص مترجمة للأطفال
- 6- اقترح أنت حلاً آخر ، الأعمال المسرحية .

* للتواصل : هاتف محمول : 01003815130 -
01116321147

بريد إلكتروني :

momensamir76@yahoo.com

- 3
- 4
- 24- 5 . يَحِيكُ الظِّلَالِ وَأَرْتَدِيهَا .
- 48 -25 ، أَجُوسُ فِي صَدْقِي المَوْجَلِ ،

بابتهاجِ حقيقي .

68 -49 • صباحُ القسوةِ يا رجلِ المطر .

82 -69 • كأنني .

103-83 * الدراسة *

105 •

109 •